مناقشات

«قضايا الشعر المعاصر»

بين الاصالة والتزييف

بقلم محمد عيد

بتاريخ (٧-٦-١٩٦٣) وبينا اعيش مع « قضايا الشعر المعاصر »في متعة وجدانية وعقلية اذ طالعت جريدة الاهرام قراء الصفحة الادبية بمقال للدكتور « لويس عوض » عن الكتاب تحت عنوان « ثورة العروض » وما كدت أنتهي من قراءته حتى شعرت بالغثيان والدوار لان السيد الكاتب قد زيف الحقيقة تزييفا مشينا ، حيث ترجم انفعالاته الحانقة في مقال تنز من جوانبه دماء الضحية البريئة « نازك الملائكة » ، وتلتوي فيه الافكار المغرضة التواء يخدم الهوى الشخصي اكثر مما يخدم الحقيقة ، ان كان في المقال حقيقة على الاطلاق !!

يبدو من اول المقال الاتجاه المغرض في الحكم على الكتاب ، اذ لم يحكم عليه حكما موضوعيا يتسم بالحيدة والنزاهة ولكنه حكم يتردد بين « الجودة » و « عدم البأس » و « الرداءة » تبعا للظروف والاحوال ، وحسب الزوايا المختلفة التي تراها عين الناقد البصير ، يقول « هو كتاب جيد او لا بأس به اذا اخذناه مأخذنا لخواطر شاعرة عربية لامعة في شعر الشعراء المعاصرين ... اما اذا حكمنا عليه وفي ذاكرتنا ما قالته الدكتورة بنت الشاطىء في وصفه من انه اهم كتاب ظهر في العروض منذ الخليل بن احمد لم يسعنا الا ان نرفضه رفضا لكتاب رديء (١) ». وتصدير المقال بهذه العبارة يشف عن الدافع المباشر الذي دفع السيد الناقد الى تناول هذا العمل العلمي الجاد بالحديث ، وهو الهوى الشخصي او العناد ،فعلى الاساس الاول : جاء حكمه ان الكتاب « جيد » او « لا بأس به » ، وعلى الاساس الثاني : الكتاب « رديء » و « مرفوض » ولا اظن ان احد هذين الدافعين اوكليهما صالح لتناول عمل علمي بالتفسير والحكم ، وانما يقوم ذلك على اساس انطاق العمل العلمي نفسه ، واستقراء افكاره وارائه ، ومقدار ما فيها من ابداع واصالة ، اوتقليد وضحالة ، على ان يسبق ذلك ثقافة واعية لما كتب في موضوعه، ووعي ناضج بالموضوع نفسه ، وكل ذلك يتنافى تماما مع ذلك التردد المغرض وتلك الاحكام الساذجة الظالمة التى قدم بها السيد الناقدمقاله

والحقيقة ان وراء هذين الدافعين - بل وراء كتابه المقال كله - دافعا اخر يوجه اراء السيد الناقدواتباعه ، هو محاولة تخريب كل ما هو أصيل من ثقافتنا ، وتشويه كل عمل جاد نكتشف به جوهرنا ، والقاء الظلال القاتمة على الجوانب المضيئة من تراثنا وادبنا ، حتى نبقى دائما - كما يريد السيد الناقد - نتسول موائد الاجانب ، ونردد ما يقولون ترديدا ببغاويا حتى ولو لم يتفق مع واقعنا وبيئتنا وتراثنا .

وفي ضوء ذلك ينكشف التزييف الذى وصف به كتاب « قضايا الشعر المعاصر » اذ جرده من ان يكون كتابا علميا، ووضع مؤلفته طرفا في معركة وهمية ليعلن على الناس قوله : « فكتابها اذا مجرد بيان في المعركة ، وليس كما ذكرت سيدتي بنت الشاطىء اهم كتاب في العروض العربي منذ الخليل بن احمد ، بل ان كتاب نازك الملائكة ليس كتابا في العروض الجديد اصلا (٢) وهذا الرأي يكذبه النظر في محتويات الكتاب ، بل حتى النظر الى فهرسه ، فقد استغرق البحث في عروض الشعر الحر ومشاكله وتلقى الجمهور له ما يقرب من مائتي صفحة ، كلها دراسة ناضجة تستند الى النصوص لاستقرائها ، والى اراء علماء العروض العرب للاستناد اليها واستنطاقها ، ثم عرض ظواهر الشعر الحر الموسيقية من خلال نماذجه لتفسيرها والحكم عليها ، وبعبارة قصيرة : تفسير الجديد في ضوء القديم استنادا على مجهودات السابقين والاستقراء والتذوق وهذا منهج سليم علميا ، بل هو منهج واجب الاتباع في بحث كل ظواهر اللغة والادب ، لانه يجمع بين الابداع والتطور القائمين اساسا على مجهودات السابقين من علمائنا كما يربط في وعي وفهم بين حركة الشعر الحر وشعرائه ، وبين اسلافهم ومعاصريهم من شعراء القافية والقصيد .

اكل هذا - ياسيدي الناقد - بيان في معركة ، وليس كتابا في العروض ؟! - الحقيقة انه لا يفهم هذا الفهم الا اصحاب البيانات والشعارات المذهبية الذين لا يعترفون بمنهج غير منهجهم ، وان كان دخيلا على حياتنا وثقافتنا .

وكما تصور الناقد النحرير معركة وهمية ، وجعل كتاب « نازك » - ظلما - بيانا لتاييد صفها من الشعراء ، تصور كذلك معركة وهمية اخرى بينها وبين الخليل بن احمد ،اذ يقول : «فمحاسبتنا نازك الملائكة بمقياس الخليل بن احمد محاسبة تخرج منها نازك الملائكة خاسرة ايما خسارة (٣) ». ثم يقرر هذا المقياس بعد ذلك بان الخليل بن احمد وضع قوانينه بعد ان اكتملت موسيقى الشعر العربي ، اما نازك الملائكة فتضع قوانينها والشعر المعاصر لا يزال على حد تعبيره - جنينا يتكون « لان موسيقى الشعر الجديد واوزانه وخصائصه لا تزال في مرحلة التكوين ، ولا يمكن استخلاصها حقا او تبويبها حقا الا بعد اجيال واجيال (٤) والحقيقة ان المؤلفة الفاضلة لم تضع في اعتبارها ولا في كتابها ان تحاسب الخليل او يحاسبها الخليل ، فمنهج بحثها يتنافى تماما مع هذه الفكرة الغريبة ، لانه يقوم - كما سبق على الافادة من اراء علمائنا السابقين - وعلى راسهم الخليل - بالاسترشاد لا المعارضة او المحاسبة وكل هذا يتم في ضوء الاستقراء والتذوق اللذين تتضح من خلالهما شخصيتها وابداعها ولقد اثنت في كتابها ثناء عاطرا على العالم العربي العظيم غير مرة ، تقول : « والفضل فيما قد اكون قد وفقت اليه من قاعدة اوقانون يرجع الى الخليل العظيم الذي رصف الطريق لكل شعر عربي خير رصف وادقه ، وابتدع العروض ابتداعا على غير نمط سابق ولست اراني فعلت في هذا الفصل عن عروض الشعر الحر اكثر من استقراء قوانين جديدة على اساس الخطوط الكبرى التي رصفها ذلك العالم الفذ (٥) ». ولكن السيد الناقد اتخذ الخليل بن احمد واجهة يقدم من ورائها رايه السابق بان الشعر الحر في مرحلة التكوين ، ولا تصح دراسته الا بعد اجيال واجيال .

مقتضى هذا ان نتوقف اذن عن هذه الدراسة ، وان نتفرج فقط على ما تقدمه المطابع كل حين من دواوين الشعراء المعاصرين ، وعلى ما تطالعنا به المجلات الادبية في العالم العربي من انتاج غزير،وعلى تلك المعارك القائمة صباح مساء بين الدارسين والشعراء !!

انه منطق غريب حقا !! منطق غريب ان يقال لنازك الملائكة : ان كتابك هذا سابق لاوانه وكان من اللازم ان تضربي صفحا وتطوى

(١) مقال « ثورة العروض » - الاهرام ٧ -٦-١٩٦٣

(٢) المقال السابق .

(٣) المقال السابق

(٤) المقال السابق

(٥) قضايا الشعر المعاصر ص : ٧٨

كشحا عن تاليفه حتى تنجلي المعركة او تنتهي ثورة العروض كما يقول الناقد الكبير !!

والحقيقة ان ذلك المنطق يتنافى مع الطابع العلمي العام في دراسة الظواهر الانسانية والتجريبية على السواء ، لان وجود الظاهرة يستدعي دراستها وتفسيرها ، او كما تقول نازك : « وانه لطبيعي ان تظهر الانماط اولا ، ثم تعقبها القواعد التي بها يقاس الفاسد منها ، وهذا لان النمط خلق تندفع به طبيعة فنان تلهمه روح العصر، واما القواعد فهي مجرد استقراء واع (٦) وكل دراسة قابلة للتعديل بمرور الزمن وتوالي الجهود في موضوعها وفنها والخطأ فقط يكون في افتراض احد الدارسين ان رايه هو الراي النهائي وان قوله هو القول الفصل ،وان حكمه لا يقبل النقض فهناك اذا فرق بين ناحيتين : دراسة الظواهر وتفسيرها ، وافتراض ان تلك الدراسة هي القول الفصل فيها ، الاولى مطلوبة علميا ولا يصح توقفها او تقييدها ، والثانية مرفوضة علميا لا يقول بها باحث ناضج .

ولقد اختلطت هاتان الناحيتان في ذهن السيد الناقد ـ عن قصد او خطأ ـ فبنى حديثه على الناحية الثانية ، موهما ان نازك تقف في وجوه العباد لتمنع البحث والاجتهاد بعد كتابها ودلف من خلال ذلك الى الناحية الاولى لمنح دراسة الشعر الحر اصلا الا بعد اجيال واجيال ولو استطاع اذا لجمع الكتاب من الاسواق ومن ايدي القراء

والحقيقة ان المؤلفة قد قدمت اجتهادها في ظواهر الشعر الحر وموسيقاه التي مضى على وجودها اكثر من خمسة عشر عاما، ولم تقل على الاطلاق : ان هذا هو الرأي الاخير والحكم الفصل .فقد ادت الطريق ، ومن حق غيرها ان يجتهد بما يتفق معها او يخالفها وهي بذلك تستحق الثناء والتقدير ، لا ان يقول عنها السيد الناقد : « اننا لا نزال في اول الطريق ، واقامة هذه الوصاية قبل ان تكتمل قوانين الشعر الجديد امر مضحك (٧) فان المضحك حقا هو هذا الكلام الساذج الموتور !!

ويختم الكاتب مقاله بتهمة كاذبة ، يحاول جاهدا ان يلصقها بالمؤلفة ، وهي التعصب لبلدها (العراق) ونفسها ، ويبرر تهامه بايراد شعراء مصريين ـ صلاح عبد الصبور واحمد حجاي وعبد الرحمن الشرقاوي ـ واصفا كلا منهم بما شاء من اصاف الحسن والتدليل ، اذ عز عليه الا تذكرهم المؤلفة بهذه الاوصاف بين من ذكرت من الشعراء ـ كما يبرر تعصبها لنفسها بانها ذكرت ان اول قصيدة من الشعر الحر كانت لها سنة ١٩٤٧ م

والذي اعلمه ان « نازك» في كتابها تتحدث عن سمات الظاهرة الادبية الجديدة ـ الشعر الحر ـ لا عن التاريخ لتلك الظاهرة وشعرائها تاريخا ادبيا ، حتى تطالب منهجيا ان تورد سماء من كتبوا فيه ، وقد اوردت من الشواهد ما يؤيد دراسة الظاهرة والاستشهاد لا يتحتم فيه ايراد كل من يستشهد به على الدراسة فقط يجب ان يكون ممثلا تمثيلا صحيحا لما ورد شاهدا عليه، والا لطالبنا من كتب في النحو او النقد في القرن الرابع الهجري ان ترد في دراساته كل اسماء الشعراء والناطقين بالعربية ، وهذا ما لم يقل به احد ، ولا يصح ان يتخذ سبيلا للعيب في الباحث وابحاثه .

اما انها قد كتبت اول قصيدة من الشعر الحر ، فهذا حقها تاريخيا وادبيا ، وهل كان من الواجب ان تكتم ذلك حتى يرضى السيد الناقد واتباعه وان غضبت الحقيقة !!

وبعد :

فمقال السيد الناقد يفتقد الضمير العلمي ، وهو في نفس الوقت يفتقد الضمير الخلقي ، لان روح العلم في جوهرها روح اخلاقية .

المعيد : بجامعة القاهرة — **محمد عيد**

(٦) قضايا الشعر المعاصر ص : ٥٥

(٧) مقال : « ثورة العروض »

مادوز تنحجر ...

بقلم أديب خضور

مسرحية « مادوز تحدق في الحياة » (١) ، عملية تعرية للقفزة الاخيرة على الدرب المسدود .

والمسرحية تعرض مأساة انفصال العلم عن الفن ، والسباق الرهيب بينهما للسيطرة على العالم اللغز . وينجح العلم في اختراعاته التي تمكنه من السيطرة ، ولكنه يصبح عبدا لاختراعاته، وينتحر الفن ، وتجن السلطة، ويحدث هذا كله امام العالم اللغز الابكم اللامبالي.

وبهذا تطرح المسرحية مشكلتين ، الاولى هي انفصال العلم عن الفن، والثانية لامبالاة العالم وصممه ...

والمشكلة الاولى فيها تعميم رخيص ـ وسنرى ان هذا التعميم يسري في جميع اجزاء المسرحية ـ فالمسرحية مجرد معادلة أعطت مقدمات معينة كان لا بد ان تقود الى النتيجة المحددة ، بحيث أن أي اهتزاز في المقدمات يهز النتيجة من جذورها ، والسؤال عن المقدمات المطروحة ، بالنسبة للجانب المظلم من العالم وأقصد به العالم الرأسمالي ، هذه المقدمات ، بل المعادلة كلها صحيحة تماما ، حيث نرى العلم يقوقع نفسه ويخترع، فقط لاجل الاختراع والسيطرة ، ونجد الفن يلفت وجهه عن بؤس العالم الى جمال مفتعل او اسطورة عفنة يتخمها رموزا ويلهث وراء وهم الغيبي المطلق .. بهذا المنظور تصبح مقدمات المسرحية صحيحة تماما ، ولكن المفاهيم الرأسمالية ليست العالم كله . المفاهيم الجديدة دحرت كل

١ ـ العدد الماضي ـ سعدالله ونوس .

صدر حديثا :

تأليف عمار اوزيغان

وزير الاصلاح الزراعي

في الجمهورية الجزائرية

الجهاد الافضل

اول دراسة تكتب بعد الاستقلال بقلم احد قواد جيش التحرير الجزائري

دار الطليعة ـ بيروت ـ ص ب ١٨١٣

التخوم المترسبة بفعل ضغوط شكلية او مصلحـــية بين العلم والفـن والانسان وقالت ليس هناك فن لاجل الفن أو علم لاجل العلم ـ لا شيء لذاته البتة ، كل شيء له هدف ودور في المنظومة البشرية عبر المسيرة الكبرى ، ان الانسان لا يستخدم العلم والحضارة والفن للوصول الـى المطلق او الله ، ولكنه يجهد لخدمة نفسه ..

اذن لا بد من التساؤل ، لماذا تجاهلت المسرحية هذه المفـــاهيم الجديدة ؟! ورغم ان المسرحية ترفض هذا التقسيم وتقدم الحل عـــلى لسان « هراري » ـ العلم ـ في خطبته الاخيرة ، ـ تلك الخطبة التي لا تكاد قصة أو مسرحية جديدة تخلو منها وكأن الكاتب ، يضيق نفســه ويتعب فيرشق القارىء دفعة واحدة بكل ما يريد قوله ، ويستريـــح ، وتنتهي بذلك القصة ـ

يقول هراري (وفينيس .. الجمال الكلي ، خلف اللامبالاة تستعـر رغبة مرمضة وغامضة بمستحيل لا يطال : أن أصـــير وإياك يا داريو ـ الفن ـ رجلا واحدا ...) ، ولكن المسرحية لم تجرؤ على تقديممضمون هذا اللقاء وكيفيته ، أو حتى مجرد الرمز أو الاشارة الى المفاهيمالجديدة التي تعيش هذا اللقاء . وهذا يثبت ان المسرحية تحكم ضد العالم كـله وليس ضد مفاهيم عفنة أثبتت فشلها وعقمها ، وأنكرها الواقع وما زالت تتشبث ـ مهملة بذلك قطاعات الجانب الاخر المخالف ، والذي يزحف عبر العالم الجديد كله ، زارعا المفاهيم الجديدة ، ملغيا هـذه التقسيمات المفتعلة والمفروضة بين العلم والفن ، محطما بذلك فجوة واسعة فيالدرب المسدود بل ملغيا السد نفسه.

* * *

والمشكلة الثانية ذات شقين ، صمت العالم ، ولا مبالاة الانسان .. وصمت العالم وبكمه وصممه واستغلاقه مشكلة تعب منها الفكر البشري ، بعد ان اكتشف انها عملية مناطحة للوهم مشوبة بترف فكري هـــروبي حينا ولا مجد حينا اخرا ، وفشل الفكر في القفز وراء الميتافيزيك، وقنع أخيرا بالتمعن في انعكاسات هذا الميتافيزيك على ذاته وكيانه .

وفي مقدمات معادلة المسرحية عرض لنوع من الفكر الذي مـا زال يناطح الوهم بالحاح أبله دون ان ينظر لحظة الى الواقع والمجتمـــع ، وبالتالي كان لا بد ان يحترق ـ ومرة اخرى تجاهلت المسرحية وجـود مفاهيم اخرى اعطت العلم والفن مهاما مغايرة ..

والشق الثاني من المشكلة ، لا مبالاة الانسان .. تصف لنا المسرحية حالة العالم في لحظة تقرير المصير .. (وثمة ضوضاء تتقاطع وتتشابك لا مبالية ـ بتحاش أصيل ـ بما يحدث داخل الجدران الملساء التيتشهد بطريقة ما على قيمة العصر ، أما ساعة المدنية الشامخة ذات الدقـــات الموسيقية القاتلة فكانت تواصل سيرها معمقة الشعـــور المغموم بهـذا اللااكتراث الكوني الذي يطبق على مسرح القصة) .

هذه هي المشكلة اذن ، القطيع المطأطىء الرأس في مسيرته نحـــو الهاوية ، العالم الذي يقرر مصيره شخص واحد ، ربما بسبب نرفزتـه من زوجته ذات صباح . عالم « هز الاكتاف » والانسحاق بمعلباتالعصر وآليته ... حتى الفنان باع نفسه للزيف ، والعلم ايضا عرض خدماتـه بطريقة موسمية ، فالذي كان يخترع للنازي هو نفسه الذي يخترع حاليا لعدو النازي ... في الوقت الذي ترتفع فيه الصواريخ وتدور الاقمـار وتتكاثر يزداد الجوع وينتشر ..في الوقت الذي يقترب فيه العالم مـن الهاوية يزداد استهلاك الخمر ويتضاعف رواد الملاهي ... وتخرج الحلول المفرطة بخداع تغلفه عاطفية سطحية لا ينقصها الزيف والكذب ، ويبـرز التشبث الهستيري بالحياة وبضرورة المحافظة عليها واستمرارها، ابتداء من تعاليم الاديان حتى اخر أفلام « بيتر أوستانـــوف » « جولييـــت ورومانوف » ، مرورا بالذين يسيرون على أقدامهم يدعون أو يبكون أو يبتهلون ، لاجل نزع السلاح ..

أولا ، يجب القول بأن البقاء والاستمرار ليسا مهمين بقدر كيفيـة هذا البقاء والاستمرار .. ان الاستمرار معدوم في الظروف الحاليـــة ومهدد في احسن الاحوال ، وسياسة تجميد كـــل شيء لانقاذ الجميع، أيضا مرفوضة ، ولا بد أن يبقى الانسان ويستمر ولكن بالشكل الـــذي يريده وبالكيفية التي يختارها ... وهذا يقودنا الى أسلوب العمل. ان الصياح الهستيري والسلبي في معظم الاحيان، والحلول على المستويات النظرية والاخلاقية ، كلها اساليب مرفوضة ، بل قد تعتبر مواقفخيانة تميع الصدام وتزيفه او تؤجله في احسن الاحوال .. بالاضافة الى انهـا قد تفتت الصف .. والحل الوحيد هو خلق الانسان الواعي الملتـــزم والذي يحفر يوميا وبأظافره الدرب الطويل ، ولكن كيف ؟ وعلى الفـور أقول : لا بد من استلام الدفة، وكل ما بعد ذلك مسألة وقت لا اكثـر ـ بشرط ان نستطيع القفز فوق تفاصيل وشكليات لا يثيرها الا المفرضون .. وبديهي ان هذا مستحيل في ظل الفلسفة التي تسري عبر المسرحية وتفتعل هذه التقسيمات والحدود ، وتزحم الافق بثرثرة عن الحريةلتحاول تغطية اكبر كمية من العبودية .

وهكذا نرى ان المسرحية قدمت مقدمات ومفاهيم معينة حتمتنتيجة معينة .. العلم يخترع للغرور والكبرياء والسيطرة ، والفن منفصل عن العلم يسعى للسيطرة بطريق اخر ، والحاكم يريد السيطرة ايضا ... والعالم أبكم أصم ، والانسان يضج بلا اكتراث .. والرهـــان في هذا السباق هو السيطرة والمطلق وليس الانسان ، ولذلك كان لا بد انيحترق الجميع ...

فالمسرحية تعرض مشكلة خاصة جدا ضمن نطاق محدد جغرافيـــا وفكريا ، وهي في هذا ناجحة ، والافتعال فيها انها حاولت ان تفهمنـــا انها تعرض مشكلة تواجه العالم كله ـ بكل ما فيه من مفاهيم متباينة ـ متجاهلة بذلك تجاهلا مغرضا ومقلقا سطوعا فكريا ألغى المشكلة وفجـــر السد وحجّر مادوز نفسها .

القاهرة — أديب خضور

صدر حديثا :

الدراسة الموضوعية الحاسمة في أدب

جبران وسيرته وثقافته

للدكتور خليـل حاوي

استاذ النقد الادبي في الجامعة الاميركية

KHALIL GIBRAN
His Background, Character and Works
By
Khalil S. Hawi
Foreword
By
Nabih Faris

منشورات كلية الاداب والعلوم في الجامعة الاميركية ببيروت